وقفات مع كتاب " الصّوتيات عند ابن جني"
لبَدر الدين قاسم الرفاعي

دراسات في كتب اللغة

الأستاذ المشارك الدكتور دوكوري ماسيري
قــسم اللغة العربية
كلـــــية اللغات والألسنية
جـــامعة المدينة العـــالمية
شـــــــــــــام علم
مـالـيـزيا
doukmas@yahoo.fr

Assoc. Prof. Dr. Doukoure Massire
Department of Arabic Language
Faculty of Languages and Linguistic
Al-Madinah International University
Shah Alma, Malaysia
doukmas@yahoo.fr

في الموضـوع مباشـرة من دون أدنى إشــارة إلى الهــدف والــدوافع الــتي حفزته، وربما رأى البـاحث أن عنـوان البحث كفيل ببيـان الغـرض الـذي من أجله كتب هذه السطور.

2. *منهج البحث:*

لم يوضح الباحث كـذلك المنهج الـذي اتخـذه للوصـول إلى النتـائج العلميـة، ســــــــواء المنهج المتعلق بجمع المعطيـــــات الوصــــفية، أو المتعلق بتحليل تلك المعطيـــات، ولعـــلّ ثمة سـقط في النسـخة الإلكترونية الـتي اغتنمتها.

3. *محتويات البحث*

تنــاولت الدراسة نظريــات ابن جــني الصوتية؛ واحتوت على نقاط أهمها:

- **الجهاز الصـوتي عند ابن جـني**، حيث أشـار البـاحث إلى أنّ ابن جـني ذكر أربعـــةَ جهـــازٍ للنطـــق، وهي: "الصــدر والحلق والفم والأنــف" من دون أن يتطـــــــرق إلى وصف تلك الأجهـزة، وأنّه لم يعط العناية لجهــاز الصــدر، ولا يــذكره إلا نــادراً؛ لأنّه لا يضم مدارج الأصوات، فلهذا لم يعـدّه مكافئاً لباقي الأعضاء الصوتية.
- **التفريق بين الصـوت والحـرف**؛ أشـــار البحث إلى حـــرص ابن جـــني على هذا التفريق منعـاً لكل التبـاس، بخلاف ســـيبويه الـــذي لم يعــــرف الحــرف، وأما ابن جــني فقد رأى أنّ الصوت قسمةٌ مشتركةٌ بين الإنســان والحيــوان، والحـــرف أمر انفـــرد به البشر دون سـائر المخلوقـات؛ وعليه فلا بد من صـــوت في كل حـــرف، لا العكس؛ ومن هنا أقــرّ البحث بوجــود أوجه التشابه بين ما جاء به ابن جـني وبين تلك المعلومــات النــادرة الــتي يزودنا بها علم الأنثروبولوجيا حــــــول نشــأة الكلام الــتي يقــدرها بحــوالي مليـــــون ســـــنة في نهاية الطـــــور الجيولوجي الثالث.

كما أقرّ البحث كذلك أنّ ابن جني عقد علاقة بين الصوت والموسيقا، وأنَّه اعتمد في دراسته للأصوات على اللسان المنطوق لا المكتوب.

- **تــركيب الحــروف**؛ تطــرق البحث كذلك إلى الحديث عن هـذه النقطـة؛ وأورد القاعـــدة الأساســية في كيفية تركيب الحـروف داخل الكلمة العربية لدى ابن جني، وأردفه بالمعايير الــتي ذكرها الشهاب الخفاجي والتي تتمـيز بها اللفظة العربية من اللفظة الأجنبية ومنها: حرف "الجيم" الـتي لا تجتمع: مع القـاف. ولا مع الصـاد، ولا مع الطاء كذلك. ومنها الـزاي والـذال والســـــين لا تجتمع في لفظة عربية الأصل بسبب قرب مخارجها.
- **الحركــات ونظرياته ابن جـــني**؛ حيث أشــــار البـــاحث إلى بعض آراء ابن جـني في هـذا المجـال؛ وأهمهـا: مضــارعة والمشــابهة بين الحركــات وحــروف المــدّ/ وتــرتيب الحركــات (الفتحة ثم الكســـــرة فالضــــــمة/ والإمالـــــة، والتفخيم والإشــــمام. والاختلاس أو الـــــروم/ والتخلص من

التقاء الساكنين، وكون الحركة مصدر قوة للحرف، وظاهرة الإدغام.

- **قوة الحرف ونصاعته**، وقد تنــاول البــــاحث هــــذه النقطة بالدراسة والتفصـــــــيل على خلاف عادته في عــرض آراء ابن جــني، بل قــرَّرَ بــأنّ مفهـوم قــوة الحـروف عند ابن جـني ربط الصـــوتياتِ بالدلالة والمعـــاني، على عكس ما ذهب إليه المعاصـرون في أنَّ الوحـــــــدة الصــــــوتية (Phoneme) ليست له معنى.

4. *نتيجة البحث*

عقد البــاحث في ختــام بحثه مقارنة بين الشاعر الفرنسي راسـين (Racine) في اختيـاره حـروف الصـفير في بيته المشهور؛ للتعبير عن فحيح الأفــاعي، وبين البحتري الـذي عمد إلى حـروف الصــفير للتعبـير عن الــترفع والإبــاء والعــزة والمنعــة؛ وذلك كلّه من أجل الاســتدلال على نظرية "المصـــاقبة" الــتي تتعلق بالمشـاكلة الصـوتية عند بان جني الذي يرى أن هذه المشـاكلة هي من إبــداع الشــاعر ولا وجــود لها قبل هذا الإبداع.

5. *آراء حول البحث:*

رغم ما قدّمه البـــاحث من جهـــــود ملموسة في دراسة الجـانب الصـوتي لــدى ابن جــني بشــكل عــام، إلا أنَّه لاحظتُ:

(1) عدم تعليقه -في الغالب- على هــذه الظـــــــواهر الصــــــوتية المتعلقة بالحركات، باستثناء ظـاهرة الإدغـام الــتي علّق عليها بــذكر رأي النحــاة فيها، وتفسير المعاصرين لها.

(2) عدم توثيق الأقوال والآراء؛ مما أبعد البحث عن المجـــــــال التخصص العلمي، وكأنه مقالة تكتب في الصحف اليومية أو نشرة أخبار.

(3) عدم التعمق في تحليل آراء الصوتية لــدى ابن جــني؛ بل اكتفى -غالبــا- بوصف رؤوس القضايا الصوتية لدى ابن جني بشكل مختصر.

(4) عدم مناقشته لكثير من الآراء الــتي يوردها عن ابن جـــني؛ ســـواء في تأصــــــــــيل تلك الآراء بما يتفق والنظريــات اللغوية الكلاســيكية، أو النظريـــات المعاصـــرة؛ مما جعل البحث في صــــفحات لا يمكن فيه مجــرد عــرض الآراء الصــوتية في كتـــاب الخصـــائص فضلا عنها في كتاب سر صناعة الإعراب.

(5) أدخل الباحث دراسته هذ في مجـال الأدب والنقـــد، فلم نقف على أية توصـــية عملية يوصي بها تجـــاه الدرس الصـوتي لـدى العـرب عامّة ولدى ابن جني خاصّــة؛ فأبعد البحث عن مجـال علم اللغة الـذي يـدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها.

المراجع والمصادر

[1] سيبويه، عمرو بن عثمان. *الكتاب كتاب سيبويه ابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر*. Vol. 4. دار القلم,, 1977.

[2] ابن جــني، عثمــان ابن جــني (أبــو الفتح)، تح محمـد علي النجار. *الخصائص*. المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

[3] Hindāwī, Ḥasan. *سر صناعة الإعراب*. Vol. 1. دار القلم,, 1985.

[4] جلال الــدين الســيوطى. *الاقــتراح*. دار الكتب العلميــة، بيروت- لبنان: ط 1418هـ-1998م.

[5] جلال الدين السيوطى. *المزهر فى علوم اللغة وانواعها (جزء 1-2)*. Kotobarabia. com, 1968.

[6] ماسيري, and د/دوكوري. "الحوسبة اللغوية (مفاهيم وأبعاد)." *ALMADINAH ISLAMIC STUDIES* 1.66 (2013).

[7] http://awu-dam.org/trath/15-16/turath15-16-017.htm، (آخر تاريخ الدخول: 10/10/2012).